**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : صلح الحديبية**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الثاني عشر**

**الفتح المبين (صلح الحديبية) :**

**تاريخه وأسبابه :**

في يوم الاثنين الأول من ذي القعدة سنة 6هـ خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة متوجها بأصحابه إلى مكة لأداء العمرة , وسبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في منامه وهو في المدينة ، وتتلخص هذه الرؤيا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرماً مؤدياً للعمرة ، وقد ساق الهدي معظماً للبيت مقدساً له ، فبشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ففرحوا بها فرحاً عظيماً , فقد طال عهدهم بمكة والكعبة التي رضعوا بلبان حبها ودانوا بتعظيمها ، وما زادهم الإسلام إلا ارتباطاً بها وشوقاً إليها ، وقد تاقت نفوسهم إلى الطواف حولها ، وتطلعت إليها تطلعاً شديداً ، وكان المهاجرون أشدهم حنيناً إلى مكة ، فقد ولدوا ونشأوا فيها وأحبوها حبّاً شديداً ، وقد حيل بينهم وبينها ، فلما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، تهيأوا لتلك الزيارة العظيمة , واستنفر صلى الله عليه وسلم أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه ؛ لأنه كان يخشى أن تصده قريش عن البيت الحرام ، وكانت استخبارات المدينة قد علمت بأمر التحالف العسكري الذي عقد بين قريش في جنوب المدينة المنورة وخيبر في شمالها ، وكان هدف هذا التحالف جعل الدولة الإسلامية بين طرفي الكماشة ، ثم إطباق فكيها عليها وإنهاء الوجود الإسلامي فيها ، فقد حان الوقت لكسر ذلك التحالف سياسيّاً ، فقد كانت الكعبة في نظر العرب قاطبة ليست ملكاً لقريش ، بل هي تراث أبيهم إسماعيل ، ولهذا فليس من حق قريش أن تمنع من زيارتها من تشاء ، وتجيز من تشاء , فإذن من حق محمد وأصحابه زيارة الكعبة .

وانتشر خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبائل العرب ، وكان انتشار الخبر له أثر في الرأي العام ، وخصوصاً بعدما أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يريد حرباً ، وإنّما يريد أن يعتمر ويعظم شعائر الله ، وحقق هذا الفعل الكريم مكاسب إعلامية رفيعة المستوى ، وقد كان هدف النبي صلى الله عليه وسلم معلناً ألا وهو زيارة بيت الله الحرام لأداء العمرة ، فتجرد هو وأصحابه من المخيط ، ولبسوا ثياب الإحرام ، وأحرم بالعمرة من ذي الحليفة بعد أن قلد الهدي وأشعره ، وقد كان صلى الله عليه وسلم على جانب كبير من الحيطة والحذر، فقد أرسل بشر بن سفيان الخزاعي عيناً له , وقدم بين يديه طليعة استكشافية مكونة من عشرين رجلاً , وفي ذلك يقول الواقدي: (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فقدمه أمامه طليعة في خيل المسلمين من عشرين فارساً ، وكان فيها رجال من المهاجرين والأنصار) ، وكان هدفه صلى الله عليه وسلم من ذلك الاستعداد للطوارئ التي يمكن أن يفاجأ بها ، وأيضاً فقد كانت مهمة هذه الطليعة استكشاف خبر العدو .

وأخذ صلى الله عليه وسلم بمشورة عمر في ذي الحليفة عندما قال له: يا رسول الله تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع؟ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من يحمل له الكراع والسلاح ، وكان قصده صلى الله عليه وسلم من ذلك: الاستعداد لهؤلاء الأعداء ، الذين يملكون السلاح والعتاد ما يستطيعون به إلحاق الأذى بالمسلمين والنيل منهم ، وهذا التعامل مع سنة الأخذ بالأسباب من هديه الكريم الذي جعله لأمته لتقتدي به من بعده صلى الله عليه وسلم , لما في ذلك من المصالح الكثيرة ، ولما فيه من درء مكايد الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر .

**وصول النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان :**

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي الخزاعي ، فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ومعها العوذ المطافيل , قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون , وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فماذا تظن قريش؟ والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهر الله له أو تنفرد هذه السالفة» ، وقد استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه لما بلغه خبر استعداد قريش لصده عن دخول البيت الحرام ، وعرض صلى الله عليه وسلم على الصحابة -رضي الله عنهم- المشورة في هذا الأمر على رأيين يحملان العزم والتصميم:

1- الميل إلى عيال وذراري الأحابيش الذين خرجوا لمعاونة قريش على مقاتلة المسلمين وصدهم عن البيت .

2- قصد البيت الحرام , فمن صده عنه قاتله حتى يتمكن من تحقيق هدفه ، ولما عرض صلى الله عليه وسلم المشورة في هذا الأمر على الصحابة تقدم أبو بكر الصديق برأيه الذي تدعمه الحجة الواضحة ، حيث أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك قتالهم والاستمرار على ما خرج له من أداء العمرة حتى يكون بدء القتال منهم ، فاستحسن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرأي , وأخذ به وأمر الناس أن يمضوا في هذا السبيل ، وعندما اقتربت خيل المشركين من المسلمين صلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف بعسفان .

**الرسول صلى الله عليه وسلم يغير الطريق وينزل بالحديبية :**

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً قد خرجت تعترض طريقه وتنصب كميناً له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد ، وهو لم يقرر المصادمة , رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفادياً للصدام مع المشركين ، فقال: «من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟» فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقا وعراً بين شعاب شق على المسلمين السير فيه حتى خرجوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي ، وعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: «قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه» فقالوا ذلك ، فقال: «والله إنها الحطة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها» ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمش في طريق تخرجه إلى ثنية المرار، مهبط الحديبية من أسفل مكة ، فسلك الجيش ذلك الطريق بخفة ودون أن يشعر به أحد، فما نظر خالد إلا وقترة جيش المسلمين قد ثارت ، فعاد مسرعاً هو ومن معه إلى مكة يحذر أهلها , ويأمرهم بالاستعداد لهذا الحدث المفاجئ , وقد أصاب الذعر المشركين وفوجئوا بنزول الجيش الإسلامي بالحديبية حيث تعرضت مكة للخطر، وأصبحت مهددة من المسلمين تهديداً مباشراً .

وعندما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية، بركت ناقته القصواء ، فقال الصحابة رضي الله عنهم: خلأت القصواء , فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل» ، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» ثم زجرها فوثبت ثم عدل عن دخول مكة ، وسار حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد -بئر- قليل الماء ، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، فجاش لهم بالري فارتووا جميعاً ، وفي رواية أنه جلس على شفة البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر ، ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معاً وقعا ، كما ذكر ابن حجر , ويؤيده ما ذكره الواقدي , وعروة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمضمض في دلو وصبه في البئر، ونزع سهماً من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت .

**السفارة بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش :**

بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حرباً معهم ، وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين ، كما هو حق لغيرهم ، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه , ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا أُلجئوا إليه ، وطمعاً في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية من جهة ثالثة .

**ركب من خزاعة بقيادة بُدَيل بن ورقاء :**

جاء بُدَيل بن ورقاء في رجال من خزاعة ، وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة ، وبينوا أن قريشاً تعتزم صد المسلمين عن دخول مكة ، فأوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مجيئه ، وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب ، واقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبوا فلا مناص من الحرب , ولو كان في ذلك هلاكه ، فنقلوا ذلك إلى قريش , وقالوا لهم: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وخاطبوهم بما يكرهون ، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تتحدث بذلك العرب ، وقد ظهرت براعة النبي صلى الله عليه وسلم السياسية في عرضه على مشركي مكة الهدنة والصلاح ؛ لأن في ذلك فوائد كثيرة منها:

أ- فبالهدنة يضمن حياد قريش ويعزلها عن أي صراع يحدث في الجزيرة العربية ، سواء كان هذا الصراع مع القبائل العربية الأخرى , أم مع اليهود ذلك العدو اللئيم الغادر الذي يتربص بالمسلمين الدوائر.

ب- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يبقى الاتصال مفتوحاً بينه وبين قريش ، ليسمع منهم ويسمعوا منه بواسطة الرسل ، والسفراء ، وفي هذا تقريب للنفوس وتبريد لجو الحرب ، وإضعاف لحماسهم نحو القتال .

ج- حرص صلى الله عليه وسلم على أن تدرك خزاعة بقيادة بديل والركب الذي معه أن حليفهم قوي , فتزداد ثقتهم به وحلفهم له ولبني هاشم من قبل الإسلام ، فقد بقي ولم يُلْغَ ، وتأكد في صلح الحديبية .

د- إن العقلاء الذين يفكرون بعقولهم حين يسمعون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء معظماً للبيت ، والمشركون يردونه ، وهو يصر على تعظيمه ، سيقف هؤلاء بجانبه ويتعاطفون معه فيقوى مركزه ، ويضعُف مركز قريش الإعلامي والديني في نفوس الناس .

هـ- إن مشركي مكة لم يطمئنوا إلى كلام بديل الذي نقله إليهم ؛ ذلك لأنهم يعلمون أن خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويشعرون بودّ خزاعة للرسول والمسلمين .

ويؤخذ من جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء حسن التلطف في الوصول إلى الطاعات , وإن كانت غير واجبة ، ما لم يكن ذلك ممنوعاً شرعاً ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب المشركين لما طلبوا منه ، ولم يظهر لهم ما في النفوس من البغض لهم والكراهية فيهم لطفاً منه عليه السلام فيما يؤمل من البلوغ إلى الطاعة التي خرج إليها .

**سفارة عروة بن مسعود الثقفي :**

لم تقبل قريش ما نقله بديل بن ورقاء الخزاعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء زائراً للبيت ولم يأت مقاتلاً ، واتهمتهم ، بل وأسمعتهم ما يكرهون , فاقترح عليهم عروة بن مسعود الثقفي أن يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمع منه ، ثم يأتيهم بالخبر اليقين ، وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه فقال: ... فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى , قال: فهل تتهمونني؟ قالوا: لا ، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى ، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، ودعوني آتيه ، قالوا: ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبديل , فقال عروة عند ذلك: أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال أبو بكر: امصص بظر اللات ، أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذاك؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك .

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشنَّ على المسلمين حرباً نفسية حتى يهزمهم معنويّاً ، فاستخدم عنصر الإشاعة , ويظهر ذلك عندما لوح بقوة قريش العسكرية ، معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة ، وذلك بأن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين , وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك , حاول ذلك من أجل التأثير على نفسيات المسلمين ولخدمة أهداف قريش العسكرية والإعلامية ، وحاول أيضاً أن يفتعل أزمة عسكرية كبيرة بين النبي صلى الله عليه وسلم وجنوده من أجل التأثير على معنوياتهم وتحطيم عزائمهم ، وهذا من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين، أثناء تلك المفاوضات. وحاول عروة أن يثير الرعب وذلك بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهر، وتصوير المعركة بأنها في غير صالحهم ، لقد مارس عروة بن مسعود في مفاوضته عناصر الحرب النفسية من إشاعة وافتعال الأزمات وإثارة الرعب , إلا أن تلك العناصر تحطمت أمام الإيمان العميق والتكوين الدقيق والصف الإسلامي المرصوص .

كان أحد الذين يتولون حراسة النبي صلى الله عليه وسلم أثناء محادثاته مع عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية هو المغيرة بن شعبة -ابن أخي عروة بن مسعود نفسه- وكان المغيرة هذا قبل أن يهديه الله للإسلام غير ما كان عليه بعد دخوله للإسلام حوله إلى إنسان آخر، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة ، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بمهامّ حراسة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الجو الملبد بغيوم الحرب ، وكان من عادة الجاهلية في المفاوضات ، أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراه ندّاً له أثناء الحديث ، وعلى هذه القاعدة كان عروة بن مسعود يمسك بلحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء المناقشة ، الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبة الذي كان قائماً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف يحرسه وعلى وجهه المغفر فانتهر عمه وقرع يده بقائم السيف قائلاً له: اكففْ يدك عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم للذي يجري بين عروة المشرك وبين ابن أخيه المؤمن ، ولما كان المغيرة بن شعبة يقف بلباسه الحربي متوشحاً بسيفه ودرعه وعلى وجهه المغفر، فإن عمه عروة لم يكن باستطاعته معرفته ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو في أشد الغضب ، ليت شعري من أنت يا محمد؟ من هذا الذي أرى من بين أصحابك؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، فقال له عمه: وأنت بذلك يا غُدر؟ لقد أورثتنا العداوة من ثقيف أبد الدهر، والله ما غسلت غدرتك إلا بالأمس ، كان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء .

لقد فشل عروة في مفاوضاته ، ورجع محذراً قريشاً من أن تدخل في صراع مسلح مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لهم: يا قوم , والله لقد وفدت على الملوك ؛ وفدت على قيصر, وكسرى ، والنجاشي ، وإني والله ما رأيت ملكًا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد وأصحابه ، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت ، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيُفعل ، وما يتنخم وما يبصق إلا وقعت في يدي رجل منهم يمسح بها جلده ، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء ، وقد حزرت القوم ، واعلموا إنكم إن أردتم السيف ، بذلوه لكم ، وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يصنع بهم ، إذا منعوا صاحبهم ، والله لقد رأيت نسيات معه ، وإن كن ليسلمنه أبدًا على حال ، فروا رأيكم ، وإياكم وإضجاع الرأي , فمادوه يا قوم ، اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح مع أني أخاف ألا تنصروا عليه ؛ رجل أتى هذا البيت معظماً له ، معه الهدي ، ينحره وينصرف ، فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور , لو غيرك تكلم بها للمناه ، ولكن نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل .

لقد انتقلت الحرب النفسية وتأثيرها في صفوف المسلمين لتعمل داخل جبهة قريش وفي نفوسهم ، فقد كان تصوير عروة لما رآه صادقاً ، حيث بيَّن لقريش وضع المسلمين في الحديبية، من طاعتهم لنبيهم الكريم وحبهم له وتفانيهم بالدفاع عنه ، وبما يتمتعون به من معنويات عالية جدّاً ، واستعداد عسكري ونفسي يفوق الوصف ، فكان ذلك بمثابة التحذير الفعلي لقريش بعدم التعجيل والدخول في حرب مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، مما قد تكون نتائج هذه المعركة لصالح المسلمين ، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائها ، ولم تكن قريش تتوقعه أبداً في تقويمها للأمور، لقد كان وقع كل كلمة قالها سيد ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوس زعماء قريش ، لقد كان صلى الله عليه وسلم موفقاً من قبل الله تعالى ، ولذلك نجد أثره على عروة بن مسعود , مما جعل الانشقاق يدب في معسكر قريش ، وأخذت جبهة قريش تتداعى أمام قوة الحق الصامدة ، وكذلك فقد انهارت حجة قريش في جمعها للعرب ضد النبي صلى الله عليه وسلم .

**سفارة الحُلس بن علقمة :**

ثم بعثوا الحلس بن علقمة الكناني سيد الأحابيش ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا من قوم يتألهون, فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه وأمر برفع الصوت في التلبية ، فلما رأى الحلس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده ، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك إعظاما لما رأى فقد كان الوادي مجدباً لا ماء فيه ولا مرعى ، وقد أكل الهدي أوباره من طول الحبس عن محله ، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام ، وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم ، ولذلك استنكر تصرف قريش بشدة ، وانصرف سيد بني كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يفاتح النبي صلى الله عليه وسلم بشيء , أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل ، واعتبر عمل قريش عدوانيّاً ضد زوار بيت الله الحرام ، ولا يجوز لأحد أن يؤيدها أو أن يناصرها على ذلك ، فرجع محتجّاً على قريش التي أعلنت غضبها لصراحة الحلس ، وحاولت أن تتلافى هذا الموقف الذي يهدد بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية ، ونسف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش ، وقالوا لزعيم الأحابيش: إنما كل ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه ، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

والجدير بالذكر أن الحلس كان يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً ؛ وذلك لما يتميز به من رجاحة العقل ، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقوات الأحابيش ، كما كان يتمتع باحترام وتقدير من جانب النبي صلى الله عليه وسلم وقريش على حد سواء ، لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يقوم بدور مهم في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش ، وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصدهم عن المسجد الحرام ، ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لشخصية الحلس تتناسب كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها , وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً ومرضية , وهكذا استطاع صلى الله عليه وسلم أن يؤثر على عروة بن مسعود والحلس بن علقمة ؛ مما جعل الانشقاق يدب في صفوف مشركي مكة .

**سفارة مكرز بن حفص :**

وكان من سفراء قريش يوم الحديبية مكرز بن حفص ، وقد روى البخاري ذلك فقال: فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص , فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد سهل لكم من أمركم» .

**الوفود النبوية إلى قريش ووقوع بعض الأسرى في يد المسلمين :**

رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلى قريش يبلغهم نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال ، واحترام المقدسات ، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة ، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش (خراش بن أمية الخزاعي) وحمله على جمل يقال له (الثعلب) , فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش ، فعاد خراش بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بما صنعت قريش , فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل سفيرًا آخر بتبليغ قريش رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم , ووقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر على عمر بن الخطاب , فاعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذهاب إليهم ، وأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عثمان مكانه ، وعرض عمر - رضي الله عنه - رأيه هذا معززًا بالحجة الواضحة ، وهي ضرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء ، وحيث إن هذا الأمر لم يكن متحققاً بالنسبة لعمر - رضي الله عنه - , فقد أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بعثمان - رضي الله عنه - ، لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم , وقال لرسول الله: إني أخاف قريشًا على نفسي ، قد عرفت عداوتي لها ، وليس بها من بني عدي من يمنعني ، وإن أحببت يا رسول الله دخلت عليهم , فلم يقل رسول الله شيئاً ، قال عمر: ولكن أدلك يا رسول الله على رجل أعز بمكة مني ، وأكثر عشيرة وأمنع ، عثمان بن عفان ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان - رضي الله عنه - فقال: «اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأتِ لقتال أحد ، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت ، معظمين لحرمته ، معنا الهدي ، ننحره وننصرف» فخرج عثمان بن عفان - رضي الله عنه - حتى أتى بلدح , فوجد قريشاً هنالك فقالوا: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم يدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، تدخلون في الدين كافة ، فإن الله مظهر دينه ومعز نبيه ، وأخرى تكفون ويلي هذا منه غيركم , فإن ظفروا بمحمد فذلك ما أردتم ، وإن ظفر محمد كنتم بالخيار أن تدخلوا فيما دخل فيه الناس أو تقاتلوا وأنتم وافرون جامون ، إن الحرب قد نهكتكم ، وأذهبت بالأماثل منكم ، فجعل عثمان يكلمهم فيأتيهم بما لا يريدون ويقولون: قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً ، ولا دخلها علينا عنوة ، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا ، فقام إليه أبان بن سعد بن العاص فرحب به وأجاره, وقال: لا تقصر عن حاجتك ، ثم نزل عن فرس كان عليه ، فحمل عثمان على السرج وردفه وراءه ، فدخل عثمان مكة ، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً ، أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية وغيرهما , منهم من لقي ببلدح ، ومنهم من لقي بمكة ، فجعلوا يردون عليه: إن محمداً لا يدخلها علينا أبداً ، فجعلت ضغثاً في يدي قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد ما يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه , قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس مجفف في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناه» , فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) [الفتح: 24] .

**بيعة الرضوان :**

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عثمان - رضي الله عنه – قُتل , دعا رسول الله أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ومناجزتهم ، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت , سوى الجد بن قيس ، وذلك لنفاقه ، وفي رواية أن البيعة كانت على الصبر, وفي رواية على عدم الفرار , ولا تعارض في ذلك ؛ لأن المبايعة على الموت تعني الصبر وعدم الفرار .

وكان أول من بايعه على ذلك سنان عبد الله بن وهب الأسدي فخرج الناس بعده يبايعون على بيعته , وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات ، في أول الناس ، وأوسطهم ، وآخرهم ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده , وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول صلى الله عليه وسلم المبايعة تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة صحابي , وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل بيعة الرضوان وورد فضلهم في نصوص كثيرة من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية منها: قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [الفتح: 10] ، وهذه الآية فيها ثناء ومدح عظيم لأهل بيعة الرضوان فقد جعل الله مبايعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم مبايعة له, وفي هذا غاية التشريف والتكريم لهم رضي الله عنهم ، وقد ورد الثناء عليهم في السنة المطهرة في أحاديث كثيرة ، منها حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض». وكنا ألفًا وأربعمائة ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة .

**صلح الحديبية وما ترتب عليه من أحداث**

**مفاوضة سهيل بن عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم :**

لما بلغ قريشاً أمر بيعة الرضوان ، وأدرك زعماؤها تصميم الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال أوفدوا سهيل بن عمرو في نفر من رجالهم لمفاوضة النبي صلى الله عليه وسلم , ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا قال: «لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل» ، كان سهيل بن عمرو أحد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحنكة السياسية والدهاء , فهو خطيب ماهر، ذو عقل راجح ، ورزانة ، وأصالة في الرأي ، شرع الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح ، وذلك بعد رجوع عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وقد استعرض الفريقان النقاط التي يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح ، واستعرضا في مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما .

اتفق الفريقان من حيث المبدأ على بعض النقاط ، واختلفا على البعض الآخر، وقد طال البحث والجدل والأخذ والرد حول هذه البنود ، وبعد المراجعات والمفاوضات تقاربت وجهات النظر بين الفريقين ، وعند الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها لتكون نافذة المفعول رسميّاً حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط كاد أن يعثِّر سير هذه الاتفاقية , فعندما شرع النبي صلى الله عليه وسلم في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها ، أمر الكاتب وهو سيدنا علي بن أبي طالب ، بأن يبدأ المعاهدة بكلمة: (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وهنا اعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلاً: لا أعرف الرحمن، اكتب (باسمك اللهم)، فضج الصحابة على هذا الاعتراض ، قائلين: هو الرحمن ، ولا نكتب إلا الرحمن , ولكن النبي صلى الله عليه وسلم تمشياً مع سياسة الحكمة والمرونة والحِلْم ، قال للكاتب: «اكتب باسمك اللهم» ، واستمر في إملاء صيغة المعاهدة هذه ، فأمر الكاتب أن يكتب «هذا ما اصطلح عليه رسول الله» ، وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله قائلاً: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ، واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ اكتب اسمك واسم أبيك ، واعترض المسلمون على ذلك , ولكن رسول الله بحكمته وتسامحه وبُعد نظره حسم الخلاف وأمر الكاتب بأن يشطب كلمة رسول الله من الوثيقة فالتزم الصحابة الصمت والهدوء .

إن النبي صلى الله عليه وسلم وافق المشركين على ترك كتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) وكتابة (باسمك اللهم) بدلاً عنها ، وكذا وافقهم في كتابة محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلى المسلمين دون من ذهب منهم إليهم ، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد ، وكذا قوله (محمد بن عبد الله) هو أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم , وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ، ولا في ترك وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة ما ينفيها ، فلا مفسدة فيما طلبوه ، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك ، وأما شرط رد من جاء منهم وعدم رد من ذهب إليهم ، فقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم تعليل ذلك والحكمة فيه في هذا الحديث بقوله: «من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً ثم كان كما قال صلى الله عليه وسلم» ، وتم عقد هذه المعاهدة وكانت صياغتها من عشرة بنود جاءت على الشكل التالي:

1- باسمك اللهم .

2- هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو.

3- واصطلحا على وضع الحرب على الناس عشر سنين ، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض .

4- على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام ، يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله .

5- من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه .

6- وأن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا أسلال ولا أغلال .

7- وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه (فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم) .

8- وأنت ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، ولا تدخلها بغيرها .

9- وعلى أن هذا الهدي ما جئناه ومحله فلا تقدمه علينا .

10- أشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين .

فمن المسلمين: أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف , وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن سلمة ، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة رضي الله عنهم أجمعين ، ومن المشركين: مكرز بن حفص ، وسهيل بن عمرو .

تعتبر هذه المعاهدة أساساً للمعاهدات الإسلامية ونموذجاً فريداً للمعاهدات الدولية ، بما سبقها من مفاوضات ، وما حوته من شروط ، وما تمثل بها من خلق النبي صلى الله عليه وسلم في النزول عند رضا الطرف الآخر، وفي كيفية الصياغة والالتزام ، هذه المعاهدة سبقها مفاوضات من قبل المشركين والمسلمين ، وفشل بعض الممثلين في الوصول إلى اتفاق ، ودارت مشاورات شتى من الجانبين قبل الوصول إليه ، حتى توصل الفريقان إلى اتفاق عن طريق ممثل المشركين (سهيل بن عمرو) ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ملأ المسلمين .

عقدت هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة لا الضعف ، وكان باستطاعتهم ألا يقبلوا شروطها التي اغتاظ منها كثير من الصحابة ، ولكن ما كان لهم أن يخرجوا عن طوع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، وقد تمادى رسول قريش على رسول الله في مفاوضته , وكان فرداً بين جيش المسلمين ، فلم ينله أذى ، ولم يتمادَ عليه المسلمون بالقتل (لأن السفراء لا تقتل) ولكن رسول الله يرضيه ، ويسعه بالحلم واللين ، حتى يصل إلى الغاية التي ينشدها الإسلام ، وهي حقن الدماء ، وإحلال السلام ، ورجاء أن يعقل القوم الحق ، وأن يراجعوا المواقف ، ويسمعوا كلام الله , وتدخل الدعوة الإسلامية طوراً جديداً بصور أخرى في الانتشار والاتصال بالناس عندما نتأمل نصوص المعاهدة التي تمت في الحديبية .

**العودة إلى المدينة ونزول سورة الفتح :**

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية قاصداً المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح قال تعالى: (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) [الفتح: 11] .

وقد عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عظيم فرحته بنزولها وقال: أنزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ: (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) [الفتح: 1] ، فقال أصحاب رسول الله: هنيئاً مريئاً , فما لنا؟ فأنزل الله: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ) [الفتح: 5] .

وقد أسرع الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته بكراع الغميم فقرأ عليهم (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا). فقال رجل: يا رسول الله, أفتح هو؟ قال: نعم ، والذي نفسي بيده إنه لفتح , فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر، وأدركوا أنهم لا يمكن أن يحيطوا بالأسباب والنتائج ، وأن التسليم لأمر الله ورسوله فيه كل الخير لهم ولدعوة الإسلام .

لقد أيقن الصحابة الكرام أن الدعوة قد دخلت في طور جديد وفتح أكيد ، وآفاق أوسع ، وامتداد أرحب ، وأن من طبيعة هذا الدين أن ينمو ويعيش في أجواء السلم والأمن أكثر منه وقت الحرب , ولمسوا مع الأيام نتائج صلح الحديبية التي كان من أهمها:

1- اعترفت قريش في هذه المعاهدة بكيان الدولة المسلمة ، فالمعاهدة دائماً لا تكون إلا بين ندين ، وكان لهذا الاعتراف أثره في نفوس القبائل المتأثرة بموقف قريش الجحودي ، حيث كانوا يرون أنها الإمام والقدوة .

2- دخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين ، وتيقن الكثير منهم بغلبة الإسلام ، وقد تجلت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام , مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم .

3- أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به ؛ مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه ، يقول الإمام الزهري: (فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً , والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة , فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر) ، وعقب عليه ابن هشام بقوله: والدليل على قول الزهري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

4 - أمن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود , ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى ، فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية .

5- جعلت المفاوضات حلفاء قريش يفقهون موقف المسلمين ويميلون إليه ، فهذا الحلس بن علقمة عندما رأى المسلمين يلبون رجع إلى أصحابه , قال: لقد رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت .

6- مكن صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيز غزوة مؤتة , فكانت خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية .

7- ساعد صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام .

8- كان صلح الحديبية سبباً ومقدمة لفتح مكة: يقول ابن القيم: كانت الهدنة مقدمة بين يدي الفتح الأعظم ، الذي أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً ، فكانت هذه الهدنة باباً له ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه ، وهذه عادة الله في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً أن يوطئ لها بين يديها بمقدمات وتوطئات تؤذن لها وتدل عليها .